# مصباح في عتمة القلب

# مصباح
# في عتمة القلب

شِعر

خديجة العطشان

اسم الكاتبة: خديجة العطشان
اسم الكتاب: مصباح في عتمة القلب
تدقيق لغوي: فريق المكتبة العربية
تصميم الغلاف:
الإخراج الفنيّ: جمال عبدالرحيم
الطبعة / الأولى – أكتوبر ٢٠١٩ م
رقم الإيداع: 2019 /

١١٤ ع جنوب الأحياء – السادس من أكتوبر
Arabiclibrary2017@gmail.com
Facebook.com/arabiclibrary2017

ت / ٠١٠٣٠٣٦٥٨٠١

جميع الحقوق محفوظة للمكتبة العربية للنشر والتوزيع، ولا يجوز استخدام أي من المواد التي يتضمنها هذا الكتاب، أو استنساخها أو نقلها، كليا أو جزئيا، في أي شكل وبأي وسيلة، سواء بطريقة إلكترونية أو آلية، بما في ذلك الاستنساخ الفوتوغرافي، أو التسجيل أو استخدام أي نظام من نظم تخزين المعلومات واسترجاعها، دون الحصول على إذن خطي من الناشر.

# الإهداء

إلى الشمس

والنور

والحب

والدفء

فينا

# ١

# كلماتٌ للوطن والتَّاريخ

أشعار وقصائد كَتَبْتُ أغلبها في مرحلة الدّراسة؛ في العمر بين ١٧ و ٢٣ سنة، رأيتُ فيها شغفاً ولغةً وانتماءً أحببتُ أن أُظهره لمن هم اليوم في نفس تلك المرحلة.

# إرادة شعب

صنع الحياة فما أراد شكورا
حكم الطغاة بموته مجبورا

قم أيها الحالم في أكفانه
و ارسم على الأكفان أجمل صورة

قم و اغتسل من روث جبنك يا فتى
أنعم بصبرك مؤنسا و سميرا

قم و استلذّ من الخطوب كبيرها
فالحق يجعل كلّ ذاك جديرا

هذي الحياة و ذاك موت هين

و كلاهمـــا قـد يجلبانِ سـرورا

مـالي أراك كأخـرس أو أبلـه

و الكون حولك يلهم التَّكبيرا

أنت الخليفة و الخلائق سُخِّرت

قول الإله، ألا تكون شكورا !

أنت الخليفة في البلاد جميعها

أوَ تستطيب من البلاد قبورا !

عجباً لعيشك تستطيب نتانةً

و النّاس حولك يشربون عبيرا

هيا انتفض و انفض غبارك و اغتسل

شـرط العبادة أن تكون طهـورا

إنَّ الشُّعـوب عبـادة ثـوراتهـــا

فـالكون يلفـظ كلَّ عيـش زورا

مِـن تحت أقدامـك أمٌّ ترتجـــي

أن تستبيـح مـن الظلام عصـورا

رتِّل نشيد الصُّبح في ساحاتها

و أعـد إليهـا جـداولاً و طيــورا

أطلق سراح العاديات لدى الوغى

و أعـــد إليهـا حـوافراً و ظهـورا

واشرب سخاء الحب من أنهارها

أنـفق و لا تـرجُ العطـاء وفـيرا

أنفـق ربيـع العمر تشمم عطـره

قـد فـاق مـا ملأ المكان بخـورا

أنت الإرادة و الحيـاة بأسرهـا

لك تستجيب إذا أردت نشـورا

# استقلال

وذا الحال

أرى معزوفة القيد

بكل اللحن والعُقَد

كقبلِ حصولها بلدي

عليه(١) فأضحى مذكورا.

فهذي مهجتي الظمأى

وهذا قلبها المدفون

وهذا عشقها المجنون

أراه فيها مأسورا.

---

١ المقصود: الاستقلال.

وهذا متحفي فيه:

من الآمال والأحلام

ما لم تحتوي الصورة

ومالم تبصر النورا

فمثل سجينها قبل؛

كذاك الحُبَّ في بلدي؛

هو (الحَبُّ) الذي لم يلقَ

فدانا به يُزرع.

هي الزهرات بين الصخر

قد تسقط وقد تطلع

فيا استقلالها أَنْشِد

بأن الحُبَّ والثورات

والآمال والأنوار

والأرجاز والأهزاج

بإذن الله مقبولة

بإذن الله مغفورة.

# حُلُم

حلم يداعب همة الأبطال

يا أيها الوطن العزيز الغالي

حلم و ليس ككل حلم زائف

يلهو بصاحبه كأي خيـــال

حلم إن الأبطال لم يعُنَـوا به

يذهبْ و إن لم يتركوه فغالِ

و لقد تجسد شخصه في همة

رأت الحياة بدونه بـــزوال

هو ليس بالحلم المُقلّل شأنه

هو راية في كل شعب نضال

هو ما به المسجون يصبح بلبلا

أنغامه صبح تشع لآلي

حريّة معشوقة من أجلها

يفنى البنونَ موازيا للمال

فبدونها تبدو الحياة كريهة

وبدونها يبدو الرخيص كغال

يا غاية المسجون عاش مغربا

يا غاية المكبول بالأغلال

فتحققت آمالهـم فـي سـاعــة

مملــوءة بتحقــق الآمـــال

فـــي ساعـة و لكم تعظم شأنها

و تتوّجت بجلائل الأعمـال

أنت الذي قشع الظلام بنـــوره

و دعا أيا شمس السنين تعالـي

فاستيقظت من نومها و تبسمت

لبيك فاطلب إن شأنك عـــال

و بذلك ابتسمت ثغور قد أبت

أن تبتســم إلا لشــيء غـــالِ

وتعانقت كل الطيور وأعلنـت

عـن حبها و الحِـلِّ والترحـــالِ

# الأمُّ الرّؤوم

الوحدة الكبرى سبيل بقائنـــا

هبوا لها و لتحسنوا الإعدادا

أعداؤنـا عبثـوا بعقـر عريننـــا

أمّا الأسود فقد غدت آحـــادا

أفما ترون السّيل قد بلغ الزُّبى

وتفـرّقت آحـادنـا آحـــادا

ومـالك غـرقـى إلـى آذانهـا

تستنجد الأعداء و الأوغـادا

باعوا الكرامة و الشَّهامة مُسبقاً

وعلى المَواطن يعلنـون مــزادا

لا ليس عارا أن ندافع بالحجـرْ

عـار مـواطننـا تُبـاع مــزادا

* * * * *

أين العروبة أين رايتها التـــي

رفعت فكانت عدّة و عتـادا

أجدادنا فتحوا البلاد جماعة

و الآن ظـلَّ خـروجنا أفـرادا

لو أنَّ أجـداد العـروبة بُعثـروا

لقضوا و ساروا للقبور معـادا

إن الكريم إذا أُصيب بعرضه

رفـض الحيـاة و عانـق الألحـادا

* * * * * *

يا شعبنا العربيَّ هبَّ لنصرة الــ

ثكلـى تعانـي وحشـة و بعــادا

و أرامـلٌ أطفـالهـنَّ بـواســلٌ

رفضـوا الخنـوع و حققوا الأمجادا

يـا مجـدنا العـربيَّ قـف متهللاً

أطفالنا جلبـوا لك الأعيــادا

* * * * * *

يا أمتــي إنّ التَّوحُّــد غايــة

و طريقهــا محفوفـة أحقــادا

إنَّ التَّفـرُّق فـي الجموع مكائدٌ

لجموعنا كـي لا نصيب رشـادا

قوموا على الأمشاط نحن بغابة

فقـويُّهـا يحيـا بهــا آمـــــادا

و ضعيفهـا يقضـي قتيـلا إنّـما

تأتي الكلاب و تنهش الأجسادا

* * * * *

أبنـاء يعــرب لا تفيـد مناحـة

فالغرب قد حصدوا البلاد حصادا

لا لن يكون النَّصر ما لم تعشقوا

بيتـاً تليـدا قـد حمـى الأجــدادا

عودوا إلى البيت الكبير تضمكم

أمٌّ رؤوم تصنـــــع الأمجـــــادا

* * * * *

يا وحدةً كـبرى نُظَــلُّ بظلهــا

تحمـي العـرين فلا نقيـم حـدادا

بدم الشَّهيد كتبتُ فيك قصائدا

عصمـاء تأبـى غـير ذاك مِـدادا

# لاميّة العرب

(قفا نبكِ من ذكرى حبيبٍ و منزل)

بغــزةَ أو بيتٍ عــريقٍ بموصــلِ

قفـا و اتركانـي أرشـف الحـزن إنّني

ألفت الأسى مالي سوى ذاك منهل

فكم من حبيبٍ يعصر الشوق قلبـه

وعينـاه تـرنـو نحـو بـاب مُقَفّــلِ

و شيخٍ لأوطان الصِّبا سال دمعــه

وكـان عصيًّ الـدمع غـير مُهطِّــل

وطفـلٍ غفـا من بعد شوق يشده

لطـائـرة شُـدّت بخيط موصّـل

فيلهـو بأحـلام لـه إن تبـددت،

يئـن؛ تصيـح الأم : إنـا بمعقـل

فمهما نمت أحلامه أو ترعرعت

تظل عن التحقيق دوما بمعـزل

أيا حـاكم العـرب سلاما أبثــه

بِحَرِّ اللظى بين الجوانح يغتلـي

فإني أرى الأحفاد من بعد جدهم

حذَوْ حذْوَ غرب عابث متعطِّل

وقد أفجع الدهر الحرائر و ابتلى

بكيده كـل ذات خـدر و مــنزل

سيطوى بساط القصر و الملك بعده

ويبقى مدى الآماد ذكر بمحفل

فما ضرّ لو أضللت كيـد العواذل

ومـا ضـرّ لو عاد الوصال كأول

و إنّي لذكر النصـر يهتز خافقـي

و يجتاحنـي شـوق يزيـد ويعتلي

نداري فلا يفرح عدو لحزننـا

ويبـري أسانا كل عظم ومفصل

كؤوس العـدا عمـا قريب تُفـــرّغ

و كأسٍ لأقوامٍ كرامٍ ستمتلـي

و إنْ شرّفَ الأسيافَ نسبٌ فإنـه

لنا ينتمي سيف الصريم المجلجل

نجـود بأرواح تطارد حتفهـــا

و أعنـاق ركبـان تجـود و تعتلي

و تختال أجساد العدا غير أنها

تسـير ليومهـم الكريه المفصّل

و إنّا و إنْ كان الزمان مخاصما

ذوو صولة في الحق دون تمهـل

ستشرق شمس العرب من بعد غيمة

(وليل كموج البحر يوما سينجلي)

فللحق رايات تُوارَى بكيدهم

وتظهر كالبـدر الجلـيّ و تعتلـي

# مأساة وطن

ذهبت ليالـي الأنـس و النعمـاء

أهلا مآسي البعد و الإقصاء

فلقـد حللت الأهل بعد تغرُّب

و لقد نزلت السَّهل بعد عنـاء

أهـلا بك، عفـوا فلسنا نمتلك

بسطـا لنـا بحـديقـة غنـــاء

عبـث الـولاة بنـا فصـرنـا أمـة

جسـدا ضعيفـا عـرضـة للداء

حان اقتطاف رؤوسنا و هي التي

ينَعَت فصارت متعـة الأهـواء

حان اجتثاث جسومنا وهي التي

أضـحت تجيد السير في خيلاء

مـن ذا لنـا والحقد هـدّم بيتنـا

واستنجـد الآبـاء بالأعـداء

قلـب لنـا وسـع المآسـي كلهـا

كَرْهـا وحينـا راضيـا بقضـاء

ضاعت عروبتنا التي كانت لنـا

بيتـا يقينـا وهجـة الرّمضـاء

و تضعضع الوطن الجريح بغربة

مـن للغـريب بعـالـم الغرباء؟!

و الّليل كم طالت علينا سدولـه

و الحـق مصلـوب بـألف رجاء

و الشرق أضحى مغربا يال الأسى

فالشمـس بـين مناحـة و عــزاء

ذهـب الصنـاديـد الأُلـى أسيافُهـم

عنـد الـوغـى بـرق بـذات مساء

أوكلمـا ذكـر الفــؤاد بـواســـلا

خطـرت لـدينا مراثـي الخنسـاء!

فالعرب دوما لا تُفَلُّ سيوفُهم

ولقد مضوا في العز أيَّ مضاء

و الأســـد مهما فارقت غاباتها

فلهـا صيـال الضَّربة القعسـاء

لا تُلـقِ يـا وطنـي عليّ ملامـة

أَمْلَـى القصيـدةَ عـزتي و إبائي

يا موطنـي لبيـك إنـك قبلتـي

تكفـي اللّئيـمَ مهانـةُ الإبـطـاء

و لسوف أُلْبسُك الثيابَ قشيبة

و تضرج الدّربَ الوحيد دمائي

تعـدو الجيـادَ بكـل نقــع كبــوةٌ

وتعـــود ظافـرة بـأي عنـــاء

لا ينجلي نَتْـنُ العـدا عن أرضنـا

إلا بعـاصفـة لنـــا هـوجـــاء

لو صارت الأوطان يوما كالدجى

وطـن العروبـة دائمُ الأضواء

# قاطـن المدينـة

فـي ذلك المحـراب أجثـو صامتـا

و تصارع الأنظار شك يقينـي

مـاذا بقـى لـي أن أقـول وقد مضى

بجميع أنواع الكلام حنينـــي

يا قاطنا بمدينتي أيقظ بني البشر الـ

غفـــاة فـغفـوهم يشقينـــي

أرهـــم جمـال الحـق فليتأملـــوا

طهـــر الـتراب براءة التكـوين

أفهمهمو مهما اعتلت أجسادهم

يـوماً يكـون مردهـــا للطـــين

رسب لنا الصدق ورشّحه لنـــا

فالصدق فصٌّ ذاب حسب يقيني

# ٢

# توقيعات في بياض القلب

لم يكنْ متاحاً، لكنَّ عواملَ التعرية الحياتية والعمرية غالباً ما تجعلُ شخصياتِنا تنتقضُ كعصفورٍ وتثورُ كشعب.

# أحلام شرقية

وساءلتُ نفسيَ
هل سأقول؟!
وكيف أقول؟!
وفي الحب في بلدتي
ألف عيب
وخدشٍ وعيٍّ
بعرض وطول..
وقد تقنع الناسَ
كلُّ الحبوب
من (الأفيون)
وكلُّ الحروب
وكلُّ الطبول

وكلُّ الخيول

سوى أن تُحب!!!

فذلك نَدْرٌ

وحَضْرٌ وشَزْرٌ

فكيف أجولُ؟

وماذا أقول؟

*****

وقلت لنفسيَ:

إنك غير

وإنك خير

وإني أخاف عليك الليالي

وإني أخاف عليَّ الأفول!!!

وإنك تعرف؛

تعرفني

وكيف الطيور بصدري تعيش

ومن دون عش ومن غير ريش

تلامسُ أكبادها مضغتي

وشرحُ الغضاضة شرحٌ يطول..

*****

وفي الروح تزدهر الأمنيات

كطيبة أصلها ثابتٌ

وفرعٌ يعانق منها السماء

كأنَّ السنابل في مهجتي

مضاغفةٌ بمئات المئات

وقد أثقلتني بحجم الحياة

بحُبٍ يسافر أنَّى اتجهتَ

ويرجو الوصول

لذلك عذرا

فما اسطعتً شوقاً

سوى أن أقول.

# نبوءة

ووجدت ريحاً مثل يعقوب الـذي

وصلتـه ريـح ابنيـه حـين اشتـاقا

مـا مثـل يعقوب النبي من مـــدعٍ

بنقـــا النوايا(١)نُبْصِـرُ الآفـاقـا

فلقد وجدتُ، ففي النسائم ريحُكم

وخيـالكم قـد كحـل الأحداقا

إنـي وإن كنت البعيد مســافـــة

فلعل أخوات(٢)الصفا تتلاقى.

---

١ ١ لكن بنقا النوايا . (لكن) تفهم ضمنا.

٢ الأرواح.

# إشراق

رغم اعتزالي الشعر والصهوات

وبقائـي كـالصوفـي فـي الخلـوات

رغم التقهقر فـي خطـاي لعلـة

مـلأت رحـاب الأرض بالشهقات

ما عادت الخلجات تصدق بعضها

مـا عـادت الأعـمال بـالنيـــات

مـا عـاد مـن يهـواك تـأســر قلبـه

هـزلٌ فهــزلٌ ثــم هــزلٌ آتـــي

فنبـذت كـل دفـاتـر أقـرئتهـــا

وكسـرت رأس يراعـتي ودواتـي

وكتمت صوت توجعي خوفا على

تـلك المشـاعـر واحتسبت مماتـي

وجثـوت صـامتـة لـدى محـرابهـا

ورهنـت آمـالـي وممتلكـاتـي

وتغـربـت كـل الأمانـي والـرؤى

وملامحـي ذهـبت بهـا مـرآتي

أيـام كـنت صبيـة كـانت مـعـي

فـي نصحهـا تسمو على الأخوات

واليـوم أيـن أنـا؟ وأيـن بريقهـا؟

قـد غـادرتنـي حـين طـال سبـاتـي

غـارت عيـونـي مثـل عين جف ما

فـي جـوفهـا فتضاعفـت مـأساتـي

وبقيت فـي ذا الحـال مـا من مشفـق

حتـى تفـاجـأت بنعـيي ذاتـــــي

فهدمت كهفـي وانقشعت بظلمتـي

وأتيـــت ثـانيـة لبـدء حيـاتـي

كانـت بعيـض الـدور أقفـل سوقهـا

وكـذاك عطـارون بالفلـــوات

يـا ويـل عيني من يكحل مدمعي

يـا ويـل روحـي من صدى أناتي

رغـم اعـتزالي الشعـر والصهوات

عـدتُ وعـاد الأُنـس والحكواتي

قــد كـان ذا لما عــرفت بـأنـــه

لا تنتهـــي المـأســاة بالآهـات

لا تنتهـــي المأســاة بالآهـــات.

# رحلة

أيقظتَ في روحي انتعاشةَ فرحتي

فشممتُ بعد الضيق طيبَ هواءِ

أحييت فـي قلبي انتفاضة غيرتـي

لكنهـا خفيـت لفـرط حيـائـــي

أحييـتَ نبضـــا كـان قبلك ميّتـا

طـابـت جـروح العمـر دون دواء

و رأيـتُ طيفـك فـي منامي يقظة

فـرأيتُ فجـرا هـادىء الأضـــواء

و لقد قسوت فصـار حملـي قاصماً

لمّـــا دنـــوت تهـــاونـت أرزائـي

مـن لـي بطيـف مـن خيالك علّـه

يـأتـي فيجري فـي العـروق دمائي

مـن لـي بطيـف مـن خيالك علّني

مسـتبشراً أصحـو بقـرب لقـــاء

# شفافية

يا صديقي لا تخف

عندما تصفو المشارب

فكلانا ظامىء

من شفاه البوح شارب

و كلانا صادق

ليس من يصدق كاذب

ياصديقي لا تلم

خافقا بين الجوانب

كلما ناديته

غنى للأطيار طارب

كلما لاقيته

لم يخف لوم المعاتب

.....

يا صديقي أنت شمسٌ

أشرقت بين يديّ

أنت قمر سابح

في فضاء القلب

فيّ

أنت نور و ضياء

لا تغب يوما عليّ

.....

عندما يحزن قلبي

تهرب البسمات عني

و يصير الفرح مطرا

كله يهرب مني

يا صديقي لا تلمني

لو رأيت الحزن في عيني

و شفتاي تغني .

# يا سيدي

يا سيدي

يا واسطة عقدي الفريد

يا أيها المزروع بين جوانبي

تسقيك ضخات الدماء

من الوريد إلى الوريد

يا أيها الشامخ في واحات فكري

و هناك تفعل ما تريد

هلا انحنيت تواضعا

و سألت طفلك ما يريد !!

يا أيها المتبعثر

الملموم في جسدي

و في كبدي

وفي قلبي الجديد

لم يبل هذا القلب

لا

ولن يبلى و أنت فيه وحيد

فلم تدسه أقدام الغزاة

و لم يعبث به التجار

في زمن العبيد

# حنـين

أسائل كيف أحوالك؟

وكيف تكون أوقاتك؟

متى توقيت إفطارك؟

متى تعطش؟

متى تشرب؟

وكم تضحك وكم تلعب؟

وكم تقسو؟ وكم ترحم؟

وكم تعتب؟

ألا يا أيها الحاضر

ألا ياعمري المتعب

أسائل عنك أحلامي

خيالاتي

شروقَ الشمس والمغرب

وفي أوقات أحزاني

وحين أريد أن أطرب

أسائل كلَّ طرقاتي

وجدراناً مررتَ بها

وأوراقاً غدت ذكرى

وأدواتٍ على مكتب

فقد تبدو حماقاتٍ

وهذيان

وشبهَ الزيف

أو حقاً

فهل مارستَ أن تتعب؟!

# شبح

يا أيها الشبح المعسكر

فوق أرصفة الفكر

العام تلو العام

و أنا أحاول أن أكون

كما يجب

و كما تحب

لكنني أخفقت في قهر الظلام

فلقد أذيبت شمعتي

ما عدت أمتلك الزمام

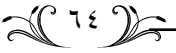

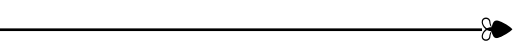

****

و بقيتُ الآن وحدي

مثل طفلٍ ضيع الدّرب و ضاع

و زمان اليوم خصمي

و أنا في الرُّكن قابع

مثل شيخ لا يموت و لا يُطاع

يا زماناً أخذ الأشياء منّي

و جعلني كغبار

يحسب الراءون أنّي جسدٌ

ملؤه الأحلام و الأعوام

أو محار!!

هاهنا أجلس أبكي

أمسح الدّمع و أحكي

و أُقلّب دفتري

لكن أحار .

****

يا أيُّها الطيف المعلّق في فؤادي

أهواك طفلا رائحاً أو غادي

أهوى عباراتٍ نطقتَها عابثاً

ألهت جفوني عن لذيذ رقادي

مالي بعيد هواك إلا دمعة

حيرى أُخبؤها و جل سهادِ

إني أحبك راحلا

إني أحبك حاضرا

إني أحبك ثائرا أو هادي .

# إلى هناك...

صباح كالذي كانا

برائحة تخدرني

بروح تسبق النسمات

بعشق يهزم التاريخ

أشكالاً وألوانا

بقهوتك التي مازلتُ أذكرها

وسيجارتك أذكرها

وأذكر كلَّ ما يعنيك

أحذية وقمصانا

****

صباح حقيبة سمرا

ترافقك كما وجعي

يرافقني

وأرقبها وترقبني

فتأخذُها وتتركُني

لذكرى كم تمنيتُ

عصا موسى

تجيىء بها

وتغدقُني بها الآنا

# سِيَّـــان

يا صديقي العمر ولّى

و انقضت منه السنون

ليس من عمري إلا

بعض حزن و شجون

و امّحت كل الدّروب

عن يمين و شمال

و سواء تشرق الشمس أمامي

أو يعتمها الغروب

و سواءٌ يبهر الأبصار قمر

أو تخبؤه الغيوم

و سواء ينهمر مطر الشتا

يطلق الآهات حرى

من حناجر و قلوب

أو تصير الأرض قفرا

مثل قلبي

و السنابل عاقرات

ترقص الآلام فيها

باحثات عن حبوب

يا صديقي العمر ولى

أملي فيه سراب

أين ما كنا نغني

و العواطف راقصات

في ذهاب و إياب ! !

# طِفْل

يا أيها الزهر الذي

ملأ الحياة شذاه

و جماله فاق الزّهر

بل فاق حبات المطر

لأنني و عندما أضمه

ينتابني حزن دفين

كالحزن ساعات المطر

و العين تكسر كأسها

ليفيض دمع منهمر

و القيد عن شفتي يذوب

فتراه فيها ينصهر

****

تنتابني انكساراتي

تعود لي انحناءاتي

توافق انحناءاتي

لشيء ساقه القدر

أشتمُّ في جنبيه رائحة النبوءة

و أرى وراء جداره ألفي رسالة

و الناس بعد بعد بعد

لم يدركوا الرسالة

و لا يزال يحمل حقيبة مملوءة

أشتم في أوراقها رائحة النبوءة

و تفضح اليدان سر ذلك التراب

و كيف كان يصنع البيوت في الغروب

محاولا أن يسدل الستار عن عقاب

في شرعه

لا يجلب التراب شيئا من ذنوب

لا يدرك الذنوب

يدركه الألم

في نظرة زائفة

أو بسمة حدودها الأنياب

الطفل في قاموسه

ليس لديه باب